وفي هذا الضوء ينبغي ان نفسر ما حصل في بداية الخمسينات من تغيرات ثورية في البلدان العربيـــة ما لبثت ان تركت تأثيرها على مجمل تطـــور حركة التحرر الوطني العربية في ربع القرن الاخير .

فما الذي حصل في الخمسينات ؟

لقد حصل ارتقاء في عملية التمايز داخل حركة التحرر الوطني العربية بحيث أصبحت الحركة في مرحلة نوعية جديدة ، اغتنى فيها مضمونها وأصبحت تعبر عن المصـــالح القومية والاجتماعية للطبقة العاملة والاكثرية الساحقة من الكادحين ، وتتميز هذه المرحلة بأن فئات من البرجوازية المتوسطة والصغيرة تصدت ، عبر انقلابات عسكرية قام بها ضباط وطنيون من الرتب الوسطى والصغيرة ، لقيادة الحركة الوطنية كرد فعل مباشر لخيانة الفئات العليا من البرجوازية المرتبطة بالاستعمار والمتحالفة مـــع الاقطاع . هذا ما عبرت عنه ثورة يوليو في مصر (١٩٥٢) والتغيرات السريعة المتوالية في سوريا واندلاع ثورة الجزائر ، وثورة ١٤ تموز في العراق والثورة في اليمن والحركات الوطنية في بقية البلدان العربية في المشرق والمغرب . وكان طبيعيا ان تواجه هـــذه القيادات الجديدة قضية الاختيار نفسها ، اختيار طريق تطور البلدان العربية . وبرغم ان الديمقراطيين الثوريين المتحدرين من اصول برجوازية صغيرة ومتوسطـــة لـــم يستندوا في تحليلاتهم السياسية والاقتصادية الى نظرية علمية ، فقد كانت سياسة التجربة والخطأ كافية لان تقودهم الى معرفة المفتاح لحل المشاكل التي يواجهونها . وكان اول قرار اتخذوه ـــ ولجمال عبد الناصر الفضل الاول في ذلك ـــ هو التوجـــه للاتحاد السوفياتي كحليف طبيعي وموضوعي لحركة التحرر الوطني العربية في نضالها من اجل تدعيم استقلالها السياسي وتقدمها الاجتماعي . ولم تكن في هذا المجال قضية كسر احتكار السلاح عملية بسيطة عابرة ، بل كانت حلقة في سلسلة من المواقف التي كانت تمليها في آن واحد المهمات المعقدة المطروحـــة امام هـــذه البلدان والتحالـــف الموضوعي بين الثورة الاشتراكية والثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان الناميـــة . اذ ما لبثت صفقة السلاح التي عقدتها كل من مصر وسوريا مع البلدان الاشتراكية ، ان وضعت البلدين امام مهمات مترابطة : مهمة مواجهة عدوان اسرائيـــل ضد مصر (١٩٥٦) والتهديد بالعدوان التركي ضد سوريا (١٩٥٧) من جهة ، وعملية استعادة الثروات والمرافق الوطنية ، (تأميم قناة السويس) من جهة ثانية ، وعملية التنمية (بناء السد العالي) من جهة ثالثـــة ، واستكمالا لعمليـــة التنمية ، تأميم المرافـــق الاساسية ، من جهة رابعة . وفي كل هذه المهمات كان العدو يتحـــدد اكثر فأكثر ، اسرائيل والامبريالية العالمية والفئة العليا من البرجوازية المتحالفة مع الاقطاع . كما كان يتحدد بوضوح الحليف الاساسي ، الاتحاد السوفياتي ، والبلدان الاشتراكية التي وقفت منذ البدء بكل طاقاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية لمساعـــدة البلـــدان العربية في جميع هذه المهمات التي تواجهها . وبالامكان في هذا السياق ايراد امثلة لا تحصى على اشكال الدعم السوفياتي للبلدان العربية .

ولعل خير ما يمكن ان نورده في هذا المجال هو ما ورد على لسان عبد الناصـــر في مناسبتين : المناسبة الاولى في خطاب القاه في افتتاح دورة الانعقاد الثالث لمجلـــس الامة (١٩٦٥) حين قال : « **ان علاقاتنا بالاتحاد السوفياتي تزداد بالصداقة المتكافئة قوة وبالتعاون المثمر خصوبة . ولقد لمست بنفسي خلال زيارتي الاخـــيرة للاتحـــاد السوفياتي مدى الجهود الجبارة التي تبذلها شعوبه المحبة للسلام لكي تبني تقدمها الانساني العظيم الذي يكرمه ان هذه الشعوب المناضلة لا تعزل قضية تقدمها عـــن**